

روح المعاني

مما قال فضربت وجهه فجحد فنحاص فقال : ما قلت ذلك فأنزل اﷻ تعالى فيما قال فنحاص تصديقا لأبي بكر رضي اﷻ تعالى عنه هذه الآية وأنزل في أبي كبر وما بلغه في ذلك من الغضب ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا الآية . وأخرج ابن المنذر عن قتادة أنه قال : ذكر لنا أنها نزلت في حيي بن أخطب لما أنزل اﷻ تعالى من ذا الذي يقرض اﷻ قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة قال : يستقرضنا ربنا إنما يستقرض الفقير الغني .

وأخرج الضياء وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أتت اليهود رسول اﷻ حين أنزل اﷻ تعالى من ذا الذي يقرض اﷻ قرضا حسنا فقالوا : يا محمد فقير ربك يسأل عباده القرض فأنزل اﷻ تعالى الآية والجمع على الروايتين الأوليين مع كون القائل واحدا لرضا الباقيين بذلك وتخصيص هذا القول بالسمع مع أنه تعالى سمع لجميع المسموعات كناية تلويحية عن الوعيد لأن السماع لازم العلم بالمسموع وهو لازم الوعيد في هذا المقام فهو سماع ظهور وتهديد لا سماع قبول ورضا كما في سمع اﷻ لمن حمدوه إنما عبر عن ذلك بالسمع للإيدان بأنه من الشناعة والسماحة بحيث لا يرضى قائله بأن يسمعه سامع ولهذا أنكروه ولكون إنكارهم القول بمنزلة إنكار السمع أكدته تعالى بالتأكيد القسمي وفيه أيضا من التشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد مالا يخفى والعامل في موضع إن وما عملت فيه قالوا : فهي المحكية به وجوز أن يكون ذلك معمولا لقول المضاف لأنه مصدر قال أبو البقاء : وهذا يخرج على قول الكوفيين في أعمال الأول وهو أصل ضعيف ويزداد هنا ضعفا بأن الثاني فعل والأول مصدر وإعمال الفعل لكونه أقوى أولى .

سنكتب ما قالوا أي سنكتبه في صحائف الكتب فالإسناد مجازي والكتابة حقيقة أو سنحفظه في علمنا ولا نهمله فالإسناد حقيقة والكتابة مجاز والسين للتأكيد أي لن يفوتنا أبدا تدوينه وإثباته لكونه في غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر باﷻ تعالى سواء كان عن اعتقاد أو إستهزاء بالقرآن ! وهو الظاهر ولذلك عطف عليه قوله تعالى : وقتلهم الأنبياء بغير حق إيذانا بأنهما في العظم إخوان وتنبيهها على أنه ليس بأول جريمة أرتكبوها ومعصية أستباحوها وأن من أجتراً على قتل الأنبياء بغير حق في إعتقاده أيضا كما هو في نفس الأمر لم يستبعد منه أمثال هذا القول ونسبة القتل إلى هؤلاء القائلين بإعتبار الرضا بفعل القاتلين من أسلافهم وقيل : المعنى سنجمع ما قالوا وقتلهم الأنبياء في مقام العذاب ونجزيهما جزاء مماثلا لتشاركهما في أن في كل منهما إبطالا لما جاء به المرسلون ولا يخفى

أنه مما لا ينبغي تخريج كلام الله تعالى عليه .

ونقول ذوقوا عذاب الحريق 181 أي ومنتقم منهم بواسطة هذا القول الذي لا يقال إلا وقد وجد العذاب .

والحريق بمعنى المحرق وإضافة العذاب إليه من الإضافة البيانية أي العذاب الذي هو المحرق لأن المعذب هو الله تعالى لا الحريق أو الإفاضة للسبب لتنزيله منزلة الفاعلكما قاله بعض المحققين والذوق كما قال الراغب وجود الطعم في الفم وأصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر فإنه يقال له : أكل ثم أتسع فيه فأستعمل لإدراك سائر المحسوسات والحالات وذكره هناكما قال ناصر الدين لأن العذاب مرتب على قولهم الناشيء عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الإنسان إليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الأكل مع المال ولك أن تقول : إن اليهود لما قالوا ما قالوا وقتلوا من قتلوا فقد أذاقوا المسلمين وإتباع الأنبياء غصصا